الفصل الثاني

أعمال وسلوكيات داخل الأسرة

١ ـ الاختيار السليم:

قال رسول الله ﷺ: «تنكح المرأة لأربع: لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها، فاظفر بذات الدين تَرِبَتْ يداك»[١].

وقال ﷺ: «إذا خطب إليكم من ترضون دينه وخلقه فزوِّجوه»[٢].

ومن هٰذه التعليمات السامية التي قالها رسول الله ﷺ يتبيَّن لنا حقيقة وجود الأسرة الصالحة، فالأسرة الصالحة لا بدَّ أن تكون مبنيّة على أعمدة متينة، والمتانة هي الدين والإسلام والخلق، فإذا توفَّر في الرجل والمرأة هٰذه الصفات فسيكون الأمر في إنشاء أسرة إسلامية أمراً مُيسَّراً ومثمراً، فاختيار المرأة الصالحة مقدمة أساسية لإنشاء أسرة صالحة ذات أبناء وبنات صالحين، واختيار الرجل الصالح مقدمة أيضاً لإنشاء أسرة مستقيمة تتَّسِمُ بأروع سمات التربية الإسلامية والأخلاقية، والإرشاد النبويُّ في ذلك واضح فقد أمر الرجال بترجيح الدين على جميع الصفات الأخرى التي يبحث عنها الرجال عادة، وأمر أولياء المرأة والمرأة باختيار الرجل الملتزم دينياً؛ ليكون عماداً لحياة سليمة ولأسرة ناجحة، فالاختيار السليم في بداية الأمر يُعتبر الخطوة الأولى والتي تُشكِّل نصف الطريق تقريباً لتحقيق الهدف المرجو.

ويُحكى أنَّ رجلاً قد وُلِدَ له غلام فأتى إلى أحد علماء دمشق فقال له: قد

---

(١) صحيح البخاري: ج٣ ـ برقم ٤٨٠٢، صحيح مسلم: ج٢ ـ برقم ١٤٦٦.

(٢) سنن الترمذي: ج٢ ـ برقم ١٠٩٠.

وُلِدَ لي غلام اليوم وأرجو منك منذ الآن أن تضع لي منهجاً تربوياً يؤمّن لهذا الغلام نشأة إسلامية وأخلاقية صالحة.

فأجابه ذلك العالم الدمشقي قائلاً: لقد تأخَّرت كثيراً، فقال الرجل: وكيف تأخَّرت وأقول لك إنَّ الغلام قد وُلِدَ اليوم؟!.

فأجابه العالم: كان يجب عليك أن تأتيني قبل أن تختار أمَّهُ.

فربما كان رجل صالح أساء الاختيار فتزوَّج امرأة بعيدة عن الصلاح، وبطبيعة الحال فإنَّ:

الأمُّ مدرسة إذا أعددتها أعددت شعباً طيِّبَ الأعراق

فما بالك بأمّ هي مدرسة للفساد والضلال والتسيُّب؟.

عند ذلك سيكون هنالك صراع شديد في الأسرة بين مفاهيم الأب التربوية ومفاهيم الأمّ، فيتشتّت الأبناء وتتصارع المبادئ أمامهم، ولا بدَّ أن يتأثَّروا بأخلاق الأمّ ولا سيّما أنها الأشدُّ التصاقاً بهم، والتي تمضي معهم وقتاً أطول من الأب.

وكذلك الأمر بالنسبة إلى الأب الفاسد، فتمكث المرأة تزرع في أبنائها القيم الأخلاقية والدينية، ثم يلتفتون إلى مثلهم الأعلى وهو الأب فيجدونه يسرح يمنة ويسرة مُفسداً مُخرِّباً يُدمِّر ما بَنَتْه الأمُّ في كيانهم فيقعون في تخبُّطٍ نفسي وتشتُّت في المبادئ، وربما انهار كلّ ذلك البنيان بسبب سوء تصرّف الأب وسلوكه الشائن داخل البيت وخارجه، فلا بدّ في البداية من الاختيار السليم من قِبَل الرجل والمرأة على السواء، فإذا تحقق الاختيار السليم كان الأمل كبيراً.

٢ ـ القدوة الصالحة:

إنَّ الكلام يؤثر في الأطفال ويؤثر في البشر سواء أكانوا صغاراً أو كباراً، ولكن الفعل ذو تأثير أكبر وذو أثر أعمق، وذو مردود أغزر، فإذا كانت الأمّ قدوة حسنة لأبنائها وبناتها يُشاهدونها تقوم للصلاة عند كلّ فرض، وتغتنم أوائل أوقات الصلاة، وتُبالغ في حشمتها وتستّرها، وتُحافظ على ألفاظها،

فتبتعد عن الشتم ، والغيبة والنميمة التي غدت بلاءً سارياً في الأمّة الإسلامية بأسرها ، وإذا غضبت من ابنها أو ابنتها لا تدعو عليه بالهلاك والدمار وإنما ترفع يديها إلى السماء وتدعو له بالهداية والفلاح والصلاح ، وإذا قامت بتأديبه تجنَّبت ضرب الوجه والمناطق المنهي عنها ، وكانت حريصة على طهارته وتعليمه وتثقيفه وتوجيهه ورعايته ، بالغةَ الحنو عليه استطاعت أن تُسيطر على مكامن قلبه بحبِّها وعطفها ورحمتها ، بالإضافة إلى حكمتها واستقامتها ، فإنها ستحقق ثمرات يانعة في هؤلاء الأبناء.

وإذا التفتوا أيضاً إلى الأب وجدوه رجلاً صالحاً لا يأكل حراماً ولا يتفوَّه بكلمة نابية ، وإذا تفوَّه بها استغفر الله عزَّ وجلَّ وأقرَّ بذنبه ، مُحافظاً على الصلاة والأخلاق الكريمة في معاملته مع زوجته بدايةً ، فإذا اشتدَّ الخصام بينه وبين زوجته تداروا بالخصام عن أعين أبنائهم ، والتزموا بالضوابط الشرعية من الحلم والحكمة والوعظ ، وكان داعماً للأمّ في ذلك التوجيه السليم ، مُراقباً لأبنائه ، مُوجِّهاً لهم ، قائماً على رعايتهم ، ولا أقصد الرعاية المادية من تأمين المأكل والمشرب والملبس الذي غدا في هٰذه الأيام المسؤولية الوحيدة التي يفهمها الآباء تجاه أبنائهم ، بل بالإضافة إلى ذلك التوجيه السليم وتعليمهم القرآن والسنَّة النبويَّة والهدي الأخلاقي ومُتابعتهم بلا كلل ولا ملل مع رقابة حكيمة ، لا تُشعر الأطفال بأنهم مُراقبون رقابة تجعلهم يتململون ، كلّ ذلك من الأمور التي تُبشِّر بإنشاء أسرة صالحة كما نتأمَّل.

إذن فالقدوة من جانب الرجل ومن جانب المرأة تُعتبر أساساً رئيساً ومُرتكزاً ثابتاً من مرتكزات التربية ، فلا يحترم الأبناء كلمة الأب عندما يأمرهم بالصلاة ويكون شارداً عنها ، ولا تحترم البنات أوامر أمَّهاتهنَّ اللواتي يأمرنهنَّ بالعفَّة وهنَّ متبرِّجات ، أو بضبط اللسان وهنَّ متفلِّتات ، فالقدوة الصالحة هي أيسر طريق لإنشاء نشء صالح ، ونحتذي بذلك برسول الله ﷺ الذي كان قدوة صالحة للصحابة وما يزال قدوة لجميع المؤمنين إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، فقد لُقِّبَ بالصادق الأمين قبل أن يُبعث إليه ، واستمرَّ هٰذا لقبه من زعماء الكفر والضلالة ، حتَّى إنهم كانوا يضعون أماناتهم لديه مع شدَّة عداوتهم

له؛ لكونه قدوة صالحة قد اكتملت أمانته وصدقه ، فإذا كان لرجلٍ من قريش شيءٌ ثمين يمتلكه ذهباً أو غير ذلك ويخشى عليه ، لا يجد في مكّة كلها غير رسول الله ﷺ يأتمنه عليها ، وكان لهـذه القدوة الصالحة أثر عظيم في انتشار الدعوة الإسلامية في مشارق الأرض ومغاربها.

ومن المعروف أنَّ كثيراً من الشعوب الإسلامية مثل شعب (إندونيسيا) و(ماليزيا) و(الصين) الذين دخلوا في الإسلام إنما دخلوا فيه نتيجة القدوة الصالحة لا نتيجة دخول الجيوش الإسلامية ، فكان التجار يحملون تجارتهم إلى هـٰذه الأراضي بالإضافة إلى دعوة إسلامية صادقة نابعة من قدوة صالحة نقية تقية ، فترى الآن أنَّ جمهورية (إندونيسيا) تحتوي على مائتي مليون مسلم دخل آباؤهم في الإسلام نتيجة لهـذه القدوة الصالحة ، وتُعتبر هـٰذه الجمهورية أكبر دولة إسلامية في العالم[1].

٣ ـ التوافق الأسروي:

لا بدَّ أن يسود داخل الأسرة التفاهم بين الزوج وزوجته؛ لأنَّ جوّ التفاهم والسكينة من شأنه أن يؤسس الأبناء تأسيساً سليماً ، لينشؤوا نشأة بعيدة عن الإشكاليات النفسية والعاطفية والتربوية ، وبطبيعة الحال فالخلاف لا يمكن أن يُعدم بل لا يخلُو الأمر من بعض الخلافات في جميع الأسر ، ولكن الحكمة ضالّة المؤمن ، فعندما ينشأ خلاف بين الزوج وزوجته لا بدَّ أن يُخفى هـٰذا الخلاف عن الأبناء ، من أجل ألا يكون له تأثير سلبي عليهم ، وإذا لم يستطع الأب والأمّ إخفاء هـٰذا الخلاف عن أبنائهم فلا بدَّ أن يتقيَّدوا بضوابط الشريعة الإسلامية في الخلاف ، فيكون الحوار حواراً هادئاً خالياً من الشتائم ، خالياً من جميع الوسائل الإرهابية والعنيفة التي من شأنها أن تخرِّب على الأطفال معيشتهم وحياتهم الآنيّة والمستقبليّة؛ لأنَّ لهـذه الخلافات آثاراً وخيمة على الطفل منذ وقوعها إلى أن يواريه الثرى ، فالواجب على كلا الزوجين الحدُّ من

---

(١) جمهورية إندونيسيا في جنوب شرق آسيا كل سكانها تقريباً من المسلمين بالإضافة إلى القليل المسيحيين وغيرهم.

هـٰذه الخلافات ، وتأجيلها إلى وقتها المناسب ، بحيث يكون الأطفال بعيدين عن مشاهدتها ، ومن الحكمة عند حدوث خلاف ما انتقالُ الأب والأمّ إلى غرفة جانبية ، ويكون الجدل والعتب فيما بينهما داخل هـٰذه الغرفة وبأصوات هادئة ؛ كي لا يؤثّر ذلك على أبنائهم .

٤ ـ تعليمهم القرآن :

لا بدَّ لكلِّ ولد من مُرَبٍّ يُعلِّمه القرآن وبعضَ الأحاديث النبوية الشريفة من أجل أن يُهذِّب سلوكه ، ويُهذِّب لسانه ، ويملأ قلبه حبّاً لله عزَّ وجلَّ وإيماناً وإخلاصاً ؛ كي لا يمتلئ هـٰذا القلب فساداً ونكراناً ونفاقاً وبغضاً ، فلا بدَّ منذ الصغر أن يُلحِقَ الأب أبناءه بمُربٍّ فاضل ، ويجب أن يكون ذلك الأب حريصاً على اختيار المُربّي الفاضل التقيّ الورع المخلص ، فالتحرّي في هـٰذه المسائل من أشدِّ الأمور خطورة ، ويتتلمذ هـٰذا الغلام أو هـٰذه الفتاة على يد هـٰذا المُربّي أو المُربيّة فيتعلَّم القرآن الكريم ويتعلَّم الأحاديث النبوية الشريفة بالإضافة إلى علمه في الأمور الأخرى ، وفي ذلك يتحقق لديه الاتّصال بالله عزّ وجلّ ، والاتّصال بدينه ، فيمتزج دينه مع لحمه ودمه ، وتنشأ لديه العاطفة الدينية الإسلامية الحقيقية ، بالإضافة إلى علم وثقافة بمبادئ الإسلام وشريعته ، وسيتلقّى من القرآن الكريم والسنَّة النبويّة كلّ ما من شأنه أن يُهذِّب أخلاقه ، فسوف يقرأ قوله تعالى : ﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ ﴾ [الإسراء : ٢٣] .

وبذلك سوف يتمسّك ذلك الغلام بطاعة والدَيه ، وسيقرأ أيضاً قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا ﴾ [الإسراء : ٣٧] .

ومن تلك الآيات الكريمة سوف يتعلَّم التواضع والبعد عن التكبُّر والتعجرف ، وسيقرأ أيضاً قوله تعالى : ﴿ مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ ﴾ [المدثر : ٤٢ ـ ٤٧] .

وعند ذلك سوف يتمسّك بالصلاة وسيتمسّك بالمعاملة الرحيمة مع

المساكين والفقراء ، ويكون حريصاً على أرزاقهم ، وعلى أوضاعهم الاجتماعية ، وسيتجنّب الخوض في العبث والإلحاد والفجور والشتم والسباب وكلّ ذلك ، وسيطّلع على قول النبي ﷺ: «مازال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورّثه»[1]. فيتعلم آداب المعاملة مع الجيران والإحسان إليهم ، وسيقرأ قوله ﷺ: «ليس منا من لم يرحم صغيرنا ولم يُوقّر كبيرنا»[2]. فيتعلم احترام الكبار ، ويتعلّم الحنوّ على من هو أصغر منه ، فدور المُؤدِّب بالقرآن الكريم والسنّة النبويّة دور عظيم في تنشئة الأبناء.

٥ ـ تجنُّب القسوة:

لا شكّ أنَّ الأبناء يُخطؤون وهٰذا شيء طبيعي ، ولولا أنهم يُخطؤون لما كانت هناك مناهج للتربية والتوجيه والتقريب ، ولكن التعامل مع أخطاء الأبناء يُعتبر أمراً شديد الحساسيّة وشديد الخطورة أيضاً ، فلا بدّ أن يتجنّب الآباء والأمّهات القسوة ، ولا سيّما الأمّهات اللواتي يقضينَ أوقاتاً أطول برفقة أبنائهنَّ ، ولا شكَّ أنَّ الأبناء يُمارسون أعمالا من شأنها أن تُثير حفيظة الأمّهات ، وتتصرّف الأمّهات عند ذلك بقسوة انفعالية بعيدة عن الحكمة والوعي الدقيق ، ونتيجة للقسوة يكون البيت جحيما بالنسبة إلى هؤلاء الأطفال ، والكثير من الأطفال يقعون فريسة الأمراض النفسية والخوف المزمن والقلق المستمر أو يهربون من بيت آبائهم أو أمّهاتهم فراراً بأنفسهم ، فيقعون في شبكات المخدّرات والعصابات والدعارة ويصيرون إلى أسوأ حال ، فلا بدَّ أن يكون التأديب مضبوطاً بضوابط الرحمة ، فلا يندفع الآباء أثناء تأديب أبنائهم بالدفاعات الانتقامية ، بل يجب أن يتذكّروا دوما أنهم آباء لهؤلاء الأطفال ، وأنَّ الدافع الرئيسي لذلك التأديب هو التوجيه والإصلاح بالحكمة والموعظة الحسنة ، ولا يعني ذلك الامتناع عن التأديب بالضرب مطلقاً ، ولا اعتماد الضرب بشكل دائم ومستمر ، بل لا بدَّ من الوسطية في هٰذا المجال ، وأما الضرب فيكون مؤلماً نفسياً لا مؤلما جسدياً ، فهو ضرب غير مبرِّح ، وعليهم

---

(١) صحيح البخاري: ج٤ ـ برقم ٥٦٦٩.

(٢) سنن الترمذي: ج٣ ـ برقم ١٩٨٤.

تجنّب الوجه والمناطق التي تؤذي الطفل ، ولا يكون الضرب إلاَّ في الحالات الشديدة وبعد استنفاذ شتَّى وسائل التوجيه والتربية من الترغيب والترهيب وما إلى ذلك ، ومن نماذج القسوة إيقاظ الأطفال من النوم بعد رقادهم ؛ ليراهم الأب الذي كان خارج المنزل طوال النهار أو ليراهم الضيوف ، وهـٰذا بطبيعة الحال يُشكّل قلقاً في حياة الطفل ، مما يؤدي إلى اضطرابات مذمومة ، فينبغي تجنُّب هـٰذا العمل ، وإدمان الأهل على ضرب أبنائهم والقسوة في معاملتهم سيجعلهم يبغضونهم ، ويتمنَّون موتهم ، وسينظر هؤلاء الأبناء إلى ذلك الأب الذي يحمل العصا على كاهله كلما دخل إلى البيت نظرتهم إلى مجرم سفَّاح ، وبذلك تتحطَّم جميع الروابط العاطفية ويفقد الأب أبناءه ويفقد الأبناء أباهم ، ويتعاملون معه اتّقاءً لشرّه ، فإذا ما كسروا الطوق وشبّوا أظهروا بغضهم وكراهيتهم له بأشكال وألوان متعددة ، فيجب على الآباء أن يتَّخذوا منهج الوسطية وألا يلجؤوا إلى الضرب العنيف إلاَّ في حالات نادرة وبعد تعذّر جميع الوسائل الأخرى ، فمن شأن الضرب أن يُحطِّم نفسية هـٰذا الطفل ويسحق كرامته وشعوره بالإنسانية ويجعله يمضغ الذلَّ طوال حياته ، ويجب على الآباء إذا هدَّدوا أبناءهم بالضرب عند اقترافهم خطأً كبيراً أن يُنفِّذوا تهديدهم ؛ لأنَّ عدم تنفيذ هـٰذا التهديد من شأنه أن يُضعف سلطة الأب على أبنائه ، فبالتالي ينبغي عليه ألا يهدِّد إلاَّ في الحالات الحقيقية التي تستحق ذلك العقاب ، وهـٰذا الأمر كثيراً ما تراه منتشراً بين الأمَّهات ، لذا تلاحظ أنّ سلطة الأمَّهات على أبنائهنَّ أقلُّ من سلطة الآباء ؛ نتيجة طول الاحتكاك وكثرة التهديد وعدم التنفيذ ، فيجب أن يكون التهديد مضبوطاً والتنفيذ مضبوطاً واللجوء إلى حالات الوعظ والإرشاد والعقوبات الأخرى مُقدَّماً على الضرب ، فآخر الطبِّ الكيُّ ، قال رسول الله ﷺ: «علِّقوا السوط حيث يراه أهل البيت ، فإنه أدبٌ لهم»[1] . وقال ﷺ: «إذا ضرب أحدكم فليتقّ الوجه»[2] .

ومن خلال هـٰذه الإرشادات النبوية يتَّضح لك أنَّ تعليق السوط يوحي

---

(١) مجمع الزوائد ، للحافظ الهيثمي ـ ج٨ ـ برقم ١٣٢١٧ .

(٢) سنن أبي داود : ج٢ ـ برقم ٤٤٩٣ .

بوجود العقاب ، ويزرع المهابة في قلب الأبناء تجاه أبيهم ، مما يدفعهم إلى الالتزام والانضباط ، وبذلك يتجنَّبون وقوع العقاب عليهم ، وكما تقدَّم فإذا تحتَّم العقاب فيجب أن يكون عقاباً مؤلماً نفسياً لا جسدياً ، ويجب عليه تجنُّب الوجه والمناطق الحساسة التي تؤذى إذا ما ضُرِبَت.

٦ ـ تنمية الشخصية بالاعتماد على الذات:

لا بدَّ للآباء والأمَّهات أن يُدرِّبوا أبناءهم وبناتهم على الاعتماد على أنفسهم منذ الطفولة؛ لأنَّ الاعتماد على النفس في كثير من الأمور يؤدِّي إلى نضوج شخصية قوية سليمة قادرة على الإنجاز والتفوّق ولا تحتاج إلى الآخرين ، ولا تكون عالة عليهم ، فعلى سبيل المثال ينبغي على الأمّ أن تُدرِّب بناتها على العمل المنزلي ، وتُكلِّفهم بأعباء داخلية ، وعليها أيضاً أن تُكلِّف أبناءها بأعمال منزلية سواء كانت داخلية أو خارجية منذ حداثة أعمارهم؛ لتتشكَّل شخصيّاتهم بشكل قوي ومتين ، ومن ذلك أن يُدَرَّب الطفل الصغير على أن يأكل الطعام بمفرده ولو كان عمره سنتين أو ثلاث سنوات ، إنَّ تدرُّبه على القيام بهـذا العمل يؤدِّي إلى نضوج شخصيَّته وتنامي قدراته ، فلا بأس أن تطلب الأمّ من طفلها الصغير أن يجمع ألعابه على سبيل المثال وأن يضعهم داخل حقيبته ويرتدي ثيابه بمفرده ، وأما ظاهرة تحمّل الأمَّهات لجميع الأعباء فإنها تؤدّي إلى نضوج أبنائها نضوجاً غير سليم ، وبالتالي يكونون أطفالاً في أجسام رجال ، مما ينعكس على حياتهم العملية في الضعف بالاعتماد على النفس ، وعدم القدرة على اتِّخاذ القرارات ، والشعور بالنقص والحاجة إلى مساعدة الآخرين.

٧ ـ الترغيب والترهيب والثواب والعقاب:

لا بدَّ من أجل زرع المبادئ الأخلاقية والسلوكية الجيدة في أعماق ذوات أبنائنا أن نتَّبع معهم أسلوب الترغيب والترهيب والثواب والعقاب ، فلا بدَّ في بداية الأمر من الحوار مع الطفل ، والوعظ والإرشاد ، وإقناعه بإيجابيّات هـٰذا العمل ، والسلبيّات المُترتِّبة على تركه ، ومخاطبته باللغة التي يفهمها ، والنزول إلى مستواه الفكري من أجل إقناعه ، ثمَّ بعد ذلك الحوار وبعد ذلك

الوعظ وضرب الأمثلة العملية على صحّة الفكرة التي يتمُّ تلقينها لهـذا الطفل ، لا بدَّ أن يوضع له ثواب على تطبيقها وعقاب على تركها ، فإذا طبّق هـٰذا الطفل تلك القاعدة التربوية التي أراد الآباء غرسها في أبنائهم فلا بدَّ أن يُقدِّموا له شيئاً؛ ليُشعروه من خلاله برضاهم بعمله وصواب وصحَّة ما أقدم عليه بعد أن يكونوا قد رغَّبوه في ذلك سابقاً ، وإذا تجاوز هـٰذا الأمر وخالف هـٰذه القاعدة فلا بدَّ أن يُعاقب على هـٰذه المخالفة ، بعد أن يكون قد حُذِّرَ من ذلك العمل بعقاب يتربّص به ، فسياسة الترغيب والترهيب والثواب والعقاب من السياسات المثمرة جداً في توجيه الأطفال وتنشئتهم وغرس المبادئ والمفاهيم التي نسعى إلى غرسها في كيانهم ، فتجد أنَّ الأب الحريص على نجاح ولده بحياته الدراسية يُرغِّبه بهدية فاخرة ، فإذا نجح هـٰذا الولد قام بتنفيذ وعده وجلب له هـٰذه الهدية ، وفي حالة الرسوب أيضاً بعد الوعظ والإرشاد لا بدَّ أن يُرهِّبه من عقوبة معيّنة ، فإذا وقع الرسوب نتيجة تقصير من هـٰذا الغلام ، فلا بدَّ من إيقاع العقوبة ، ويجب أن تكون العقوبة عقوبة تربوية لا عقوبة نابعة من الحقد والانتقام قاسية مُنفِّرة تُحقّق نتائج سلبية عوضاً عن النتائج الإيجابية المرجوَّة ، فكم أعلم من الآباء الذين قاموا بترغيب أبنائهم بحفظ القرآن الكريم ، وكان أحدهم يقول لابنه : إذا حفظت جزءاً من القرآن فسأقدّم لك ليرة ذهبية ، وتتالت الأيام وحفظ هـٰذا الغلام القرآن الكريم كاملاً نتيجة هـٰذه السياسة التربوية المثمرة .

وأعود فأقول وأكرّر : لا بدّ أن يكون الترغيب والترهيب بعد الحوار والإقناع؛ من أجل أن يُقدِم الأبناء على العمل إقبالاً متَّصفاً بالقناعة والطمع بآنٍ واحدٍ ، ويُدبرون إدباراً متَّصفاً بالقناعة والخشية بآنٍ واحدٍ .

٨ ـ زراعة العقيدة :

لا بدَّ للأمَّهات والآباء من زراعة العقيدة في قلوب أبنائهم وعقولهم ، فإذا تمَّت زراعة العقيدة فإنها ضمان وكفالة لصلاح هؤلاء الأبناء ، ولو مرّوا بمراحل من الشرود والبعد والعصيان ، فلا بدَّ أن تدفعهم عقيدتهم التي غُرِسَت في أعماقهم إلى العودة إلى سبيل الحقِّ والرشاد في نهاية المطاف ، ووسائل

زراعة العقيدة وسائل متعددة ، فلا بدَّ بدايةً من حثّهم على التفكّر بالكون وآلائه وعظمة خلق الله وإبداعه ، وذلك من خلال عرض المعجزات الكونية التي تُحيط بالإنسان ، ثم بعد ذلك التوصّل بهم إلى وحدانية الخالق عزّ وجلّ ، ولا بدّ من زراعة العاطفة الدينية في قلوبهم ، ولزراعة العاطفة الدينية أساليب متعددة وكثيرة ، ومن ذلك: نسبة كل نعمة يمرُّ بها الطفل إلى الله عزّ وجلّ ، فإذا ألبسته لباساً جديداً أخبرته أنَّ الله عزَّ وجلَّ هو الذي رزقه هـٰذا اللباس ، وإذا أطعمته طعاماً جيداً فأخبره أنَّ الله عزَّ وجلَّ هو الذي ساق إليه هـٰذا الطعام ، وإذا أخذت بيده إلى نزهة جميلة فأخبره أنَّ الله عزَّ وجلَّ هو الذي يسَّر له ذلك الأمر ، وأنبئه عن محبَّة الله عزَّ وجلَّ له ، ومنحه إياه الكثير من النعم ، من البصر والسمع والنطق والأعضاء والأسرة ، وأكثِر له من القصص الدينية والمستنبطة من سيرة رسول الله ﷺ ، وكيفية رحمته عليه الصلاة والسلام وحسن معاملته مع الأطفال وتحمُّلِه ﷺ في سبيل وصول هـٰذا الدين الإسلامي إلى هؤلاء الأطفال وإلى الأمَّة بأسرها الكثير من المشاق ، فأخبره عن معاناته ﷺ في الطائف ، ومعاناته مع مشركي قريش ، وإيذاء أبي جهل وأبي لهب وأمثالهم من الطواغيت للرسول ﷺ.

كلُّ هـٰذه القصص من شأنها أن تُثير شعلة العاطفة في قلوب الأبناء تجاه رسول الله ﷺ ، وبذلك تكون قد ربطتهم بدينهم وعقيدتهم ، فالقصص في هـٰذا المقام لها أثر خطير وكبير ، بالإضافة إلى ذلك عَلِّمهم الأناشيد الدينية ، عوضاً عن أن يتعلَّم الأبناء الرقص والصراخ والصياح أرشدهم إلى الأناشيد الدينية التي تُداعب أوتار العاطفة في القلب ، فإنَّ أوتار العاطفة في قلوب الأطفال شديدة الحساسية شديدة الرقَّة ، تؤثِّر فيها الأناشيد الدينية تأثيراً كبيراً ، ومازلت أعشق مجموعة من الأناشيد الدينية التي تلقَّيتها في سنٍّ صغيرةٍ جداً ، وإني لأجد نفسي عند سماعها منساقاً إليها بأشواق جارفة ، ومحبَّة شديدة الحرارة والحميمية ، هـٰذه الأناشيد لها أثر كبير وبليغ في زراعة العاطفة الدينية في قلوب الأبناء ، وهي تؤدّي إلى نمو العقيدة في صدورهم وعقولهم وقلوبهم ، وبالتالي إلى استقامتهم أو عودتهم إلى سبيل الاستقامة إذا ما قُدِّر

لهم الشرود ، ومن أمثلة هـٰذه القصص ما قاله سهل بن عبد الله التُّستري :

(كنت أنا وابن ثلاث سنوات أقوم في الليل فأنظر إلى صلاة خالي محمد بن سوار ، فقال لي يوماً : ألا تذكر الله الذي خلقك؟ فقلت : وكيف أذكره؟ قال : قُل بقلبك عند تقلُّبِكَ في ثيابك ثلاث مرّات من غير أن تُحرّك لسانك : «الله معي ، الله ناظرٌ إليَّ ، الله مُشاهدي» ، فقلت ذلك ليالٍ ، ثمَّ أعلمته فقال : قُل في كلِّ ليلة ذلك سبع مرَّات ، فقلت ذلك وأعلمته ، فقال : قُل في كلِّ ليلة ذلك إحدى عشرة مرَّة ، فقلت فوقع في قلبي حلاوته ، فلمّا كان بعد سنة قال لي خالي : احفظ ما علَّمتُك ودُم عليه إلى أن تدخل القبر ، فإنه ينفعك في الدنيا والآخرة ، فلم أزل على ذلك سنين فوجدت لذلك حلاوة في سرِّي ، ثمّ قال لي خالي يوماً : يا سهل ، من كان الله معه وناظراً إليه وشاهداً أيعصيه؟ إيَّاك والمعصية)[1] .

وأعود فأقول : لا بدَّ من زرع محبَّة رسول الله ﷺ في قلوب النشء ، فقال تعالى : ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾ [الحشر : ٧] .

وقال عليه الصلاة والسلام : «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحبّ إليه من والده وولده والناس أجمعين»[2] .

فيجب أن يعلم الأبناء أنَّ اكتمال عقيدتهم وإيمانهم لا بدَّ أن يتحقّق بحبِّهم لرسول الله ﷺ ، فإذا توفَّر هـٰذا الحبّ توفَّر الإيمان ، وكان عليه الصلاة والسلام قدوة لهم ، ونتيجة لذلك فسوف يسلكون مسلكه باعتبارهم محبِّين له عليه الصلاة والسلام وباعتباره قدوة لهم ، ولن تجد قدوة أسمى وأرقى منه ﷺ .

علِّموا أبناءكم أنَّ الله عزَّ وجلَّ أقسم بحياته ﷺ في قوله :

ـ ﴿ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ [الحجر : ٧٢]

ولم يقسم الله عزَّ وجلَّ بحياة أحد من أنبيائه غير المصطفى ﷺ ، وعلِّموهم الإكثار من الصلاة على رسول الله ﷺ فإنها ترفع الدرجات ، وتضمن لهم شفاعته ﷺ يوم الحساب ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ

---

(١) إحياء علوم الدين : ٣/ ٧٤ .

(٢) صحيح البخاري : ج١ ـ برقم ١٥ ، صحيح مسلم : ج١ ـ برقم ٧٠ .

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

علِّموهم أنه ﷺ قبل البعثة يلقب بالصادق الأمين، وكان بعد البعثة المهداة رحمة للعالمين، علِّموهم أنه دعوة سيدنا إبراهيم وبشارة سيدنا موسى وعيسى وخاتم النبيّين عليهم الصلاة والسلام، علِّموهم أنه ﷺ خير من أدّى الرسالة ونصح الأمة وبلّغ الأمانة وجاهد في سبيل الله حتى أتاه اليقين، علِّموهم أنه ﷺ أولى بالمؤمنين من أنفسهم، وأنه النبيّ الذي أخذ الله من جميع أنبيائه العهد له عليه وعليهم الصلاة والسلام، وذكِّروهم بقوله ﷺ:

«ثلاث من كنَّ فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحبّ إليه مما سواهما، وأن يُحبّ المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار»[1].

٩ ـ الحبُّ والتربية:

من أهمّ عناصر التربية الحب، فلا بدّ أن تُقدِّم لأبنائك حبّاً؛ كي تستطيع أن تزرع في أذهانهم وعقولهم وصدورهم وقلوبهم قناعة حقيقية ورغبة صادقة في الطاعة، فإنَّ المعلومة التربوية التي تُقدَّم معجونة بالحبّ ستُثمر ثمرات يانعة، أما المعلومة التربوية التي تُقدَّم بقالب جامد جاف خالٍ من العواطف فلن تؤدِّي إلاَّ إلى النفور والتململ، وإنَّ الصغار يشعرون بالعاطفة شعوراً كاملاً، ولعلَّ شعورهم أرقى وأدقُّ من شعور الكبار، فإذا استشعر منك ابنك حباً حقيقياً فسيتقبَّل التوجيهات التي تصدر عنك تقبُّلاً حميميّاً والعكس صحيح، ولا بدَّ من التعبير عن هـٰذا الحبّ بالضمّ والعناق والقبلة بالإضافة إلى المداعبة.

ـ (عن أنس رضي الله عنه قال: إن كان النبي ﷺ ليخالطنا، حتى يقول لأخ لي صغير: «يا أبا عُمَير، ما فَعَلَ النُّغَير[2]»)[3].

فالمداعبة من سنن رسول الله ﷺ مع الأطفال، وقد ثبت أنه عليه الصلاة

---

(١) صحيح البخاري: ج١ ـ برقم ١٦.

(٢) النغير: تصغير نغر وهو طائر صغير كالعصفور.

(٣) صحيح البخاري: ج٤ ـ برقم ٥٧٧٨.

والسلام كان ساجداً يُصلِّي بالناس فأطال السجود حتى ظنَّ الناس أنه قد قُبض ، فلما فرغ من الصلاة وسُئِلَ عن ذلك قال: «لقد ارتحلني ابني فأبيتُ أن أروِّعَهُ» ، وكان ﷺ يضع الحسن والحسين على ظهره ويسير على يديه وقدميه مداعباً لهما ويقول لهما: «نِعمَ الجملُ جملُكما ونعمَ الحملانِ أنتما» ونتيجة لهـذه المداعبة تشكَّلَ عشق الحسن والحسين لرسول الله ﷺ ، بل عشق جميع الأطفال الذين تشرَّفوا بلقائه عليه الصلاة والسلام .

١٠ ـ المساواة بين الأولاد:

لا بدَّ للأب والأمِّ أن يُساووا بين جميع أبنائهم ، وإلاّ يكونوا قد ارتكبوا ظُلماً فاحشاً وخطأً كبيراً ذا آثار مدمِّرة وخطيرة على الأسرة وعلى نفسية هؤلاء الأبناء، وسينعكس هـٰذا الخطر الوبيل على معاملة الأبناء مع آبائهم وأمَّهاتهم ، ولا سيَّما في مجتمعاتنا الجاهلية التي مازالت تزداد جاهليتها يوماً بعد يوم؛ نتيجة شرودهم عن تعاليم الشريعة الإسلامية ، فإنَّ الناس يُفضِّلون البنين على البنات ، ونتيجة لذلك التفضيل تنشأ هنالك عقد نفسية كثيرة ومشاكل اجتماعية وبيلة .

ـ (عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «من كانت له أنثى فلم يَئِدها ولم ينهها ولم يؤثر ولده عليها (قال الراوي: يعني الذكور) أدخله الله الجنة»)[١] .

ـ (قال رسول الله ﷺ: «اعدلوا بين أولادكم ، اعدلوا بين أبنائكم»)[٢] .

ـ (عن جابر قال: قالت امرأة بشير: انحل ابني غلامك ، وأشهد لي رسول الله ﷺ ، فأتى رسول الله ﷺ فقال: إن ابنة فلان سألتني أن أنحل ابنها غلامي ، وقالت: أشهد لي رسول الله ﷺ ، فقال: ألهُ أخوة؟ قال: نعم ، قال: أفكلَّهم أعطيت مثل ما أعطيته؟ قال: لا ، قال: فليس يصلح هـٰذا ، وإني لا أشهد إلاَّ على حقّ)[٣] .

---

(١) سنن أبي داود: ج٢ ـ برقم ٥١٤٦ .
(٢) سنن أبي داود: ج٢ ـ برقم ٣٥٤٤ .
(٣) صحيح مسلم: ج٣ ـ برقم ١٦٢٤ .

فإنَّ الكثير من الآباء والأمَّهات يقعون في هـٰذا المزلق ونتيجة لذلك فإنهم يتحمَّلون إثماً وبيلاً ، بالإضافة إلى مخالفتهم لمنهج النبيّ عليه الصلاة والسلام والسلف الصالح ، مما يؤدّي إلى إيذاء مشاعر الأبناء الذين فُضِّلَ إخوانهم عليهم ، ومن ثمّ سوف يُضمرون في أنفسهم العداوة والبغضاء فيما بينهم ، وتتحوَّل الأسرة إلى بؤرة من الخصام وحفرة من حفر جهنَّم ، وذلك يؤدّي إلى الأمراض النفسيّة والاضطرابات العصبيّة ، ويؤدّي بالطفل المفضَّل إلى الانطواء والعزلة والعدوانيَّة[1] .

وكما أنَّ المجتمعات الجاهلية التي نعيش فيها تُميِّز بين الأبناء ذكوراً وإناثاً فإنها تميِّز أيضاً في كثير من الحالات بين الأبناء صحَّةً ومرضاً ، فإذا كان هنالك لأسرة ما أبناء أصحّاء وآخرون مرضى فترى أنهم يُميّزون الأصحّاء على هؤلاء المرضى عوضاً عن العكس ، وبذلك تتضاعف جريمتهم ويتضاعف إثمهم؛ لأنَّ لدى بعض الآباء عقيدة تكاد أن توقع به في الشرك ، وهي أنَّ الأبناء الأصحَّاء سينفعونه في نهاية المطاف وسيكونون عوناً له ، وأجنحة تسنده في حياته ، أما أبناؤه المرضى فإنهم عبء وثقل لا يُرجى منهم نفع ولا يُبتغى فيهم أمل ، ونتيجة لذلك الشعور يُميِّز ذلك الأب أو تلك الأمّ بين الأبناء تمييزاً عاطفياً ومادياً بآن واحد ، فيقعوا في مصيبتين ، مصيبة التمييز ومصيبة مِنْ نِسْبَتِه النَّفعَ والضررَ لغير الله عزَّ وجلَّ ، ظانّاً بنفسه أنه يُفكِّر تفكيراً منطقياً ويطَّلع على غياهب الأقدار ، وهـٰذا مسلك عقائدي خطير قد يُخرجه عن الملَّة؛ لأنه مخالفة صريحة لقوله تعالى : ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [آل عمران : ٢٦] .

فالعزة بيد الله عز وجل ، والذلّ بيد الله عز وجل ، وليست بيد هـٰذا العبد أو ذاك ، وهـٰذا الولد أو ذاك .

وهو أيضاً مخالفة لما صحَّ عن رسول الله ﷺ في قوله : «اعلم أنَّ الأمة لو

---

(١) الزواج الناجح وآثره على تربية الطفل ص : ١٨٧ .

اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلاَّ بشيء قد كتبه الله لك ، ولو اجتمعوا على أن يضرّوك بشيء لم يضروك إلاَّ بشيء قد كتبه الله عليك ، رُفعت الأقلام وجفَّت الصحف»[1].

ويكون الأمر شديد الشناعة عندما يصدر هـٰذا التمييز من آباء وأمَّهات متديّنين ، فيشوهون بذلك جوهر إسلامهم النقيّ ، ولا سيّما عندما ينتشر هـٰذا الأمر في المجتمع فينظر الفسقة إلى المتديّنين على أنهم ظَلَمة وبذلك يكونون قد أضَرُّوا دينهم بالإضافة إلى ضررهم لأنفسهم.

١١ ـ الإشراف والاطِّلاع على أصدقاء الأبناء :

لا بدَّ على الأهل من متابعة ومعرفة أصدقاء أبنائهم؛ لأنَّ البيئة بطبيعة الحال لها تأثير كبير وخطير على سلوك الأبناء ونفسيّتهم ، فبالتالي يجب أن نُبعد أبناءنا عن أصدقاء السوء ، ونُقرِّبهم من أصدقاء الخير؛ لأنَّ تأثّر الأبناء بأصدقائهم تأثّر كبير ، ويتطلّب ذلك زيارات إلى المدرسة بشكل مستمر ومتتالٍ ، وجمع المعلومات عن الأبناء وعن الأصدقاء الذين يُحيطون بهم ، لذا فالتزام الأبناء بمعاهد تحفيظ القرآن أو المساجد يؤمّن لهم تربية إسلامية فاضلة ، بالإضافة إلى أصدقاء يعيشون الأجواء ذاتها فيكونون من البيئة الدينية والأخلاقية والسلوكية ذاتها؛ لأنهم يشربون جميعاً من نبع واحد ، أما إهمال الأبناء ولا سيَّما في قضية اختيار الأصدقاء فجريمة كبيرة تجعل من انحرافهم وانجرافهم أمراً شبه مؤكَّد ، وقد رُويَ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «الرجل على دين خليله. فلينظر أحدكم من يُخَالِل»[2].

١٢ ـ يجب مشاهدة أفلام الأطفال مع أبنائنا ، من أجل أن يكون لنا دور في التوجيه والإرشاد ، وتوضيح الصواب من الخطأ ، وبطبيعة الحال فينبغي مراقبة البرامج التي يُشاهدها الأطفال والأبناء المراهقون ، وعدم إدخال المحطّات المثيرة للغرائز التي تُدمِّر الدين والخُلُق والمجتمع.

---

(١) سنن الترمذي: ج٤ ـ برقم ٢٥١٦.
(٢) سنن الترمذي: ج٤ ـ برقم ٢٤٨٤.

١٣ ـ لا بدَّ من مناقشة الطفل وحواره على أنه عاقل ، والبعد عن الاستهزاء به والاستخفاف بفكره ، وإقناعه بالحكمة والدليل بالإضافة إلى الحبِّ والعطف.

١٤ ـ لا بدَّ من عدم الإفراط أو التفريط في المسائل المالية ، فلا يُعطى كل ما يُريد ، ولا يُحرم أيضاً من كلّ ما يُريد ، فإنَّ الإعطاء الذي يزيد عن حدِّه يُفسده ، وإنَّ الحرمان الذي يزيد عن حدِّه يُشعره بالنقص وربما أدّى إلى انحرافه.

١٥ ـ لا بدَّ من ملء فراغ المراهق ، بحيث يكون يومه بأكمله مليئاً بالأعمال؛ كي يكون ذلك له عوناً على البعد عن التفكير بالغريزة وما يُدمِّر حياته ، فالفراغ من أخطر الأمور على الناس عامة وعلى المراهق خاصة ، ونفسك إن لم تشغلها بالطاعة شغلتك بالمعصية.

١٦ ـ لا بدَّ من المصارحة بين الأمّ وبين ابنتها المراهقة ، وبين الأب والأمّ وبين ابنهما المراهق أيضاً؛ لأنَّ المصارحة من شأنها أن تكشف الكثير من الغموض ، وتجعل المراهق يعيش في سكينة وطمأنينة واستقرار عاطفي ، وتُمكّن الأهل من تدارك الخطر قبل وقوعه ، فجلسات المصارحة لا بدّ أن تتم ، ولا تكون مصارحة إلاَّ في جوّ من الحبّ والعطف والحوار والتفاهم واحترام هـٰذا المراهق كإنسان مُفكر.

١٧ ـ ولا بدَّ بطبيعة الحال من التفكير في تزويج الشباب ، ومصداق ذلك قول النبي ﷺ: «يا معشر الشباب ، من استطاع منكم الباءة فليتزوّج ، فإنه أغضّ للبصر وأحصن للفرج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنَّه له وجاء»[1].

فإنَّ الغريزة تستعر ، ولا بدَّ من تفريغها ، ولا يتمُّ التفريغ إلاَّ في الزواج ، أما التفريغ في نساء الناس وبناتهم فهو من الرذائل والكبائر ، لذا تُلاحظ أنَّ كثيراً من ذيول الغرب من أبناء جلدتنا يُحاولون أن يزرعوا في أفهامنا أنَّ تأخير الزواج من الأمور الحكيمة ، متذرّعين بأنَّ تأجيله يؤدّي إلى نضوج العاطفة عند

---

(١) صحيح مسلم: ج٢ ـ برقم ١٤٠٠.

الفتيات والفتيان ، وهم يسعون من خلال ذلك إلى تحريق المراهقين والمراهقات بحيث يُدفعون دفعاً إلى الزنى؛ من أجل تخريب المجتمع الإسلامي ليملؤوا صناديقهم بالهبات والعطايا التي يُغدقها عليهم الصهاينة والصليبيون ، وبطبيعة الحال فإنَّ العاطفة ليست هي المقياس الوحيد في اختيار الزواج ، بل لا بدَّ من تطبيق التعاليم النبوية بالإضافة إلى العاطفة فإننا لا نُنكِرُها ، ومن هـٰذه التعاليم قوله ﷺ: «إذا خطب إليكم من ترضون دينه وخلقه فزوّجوه»[1].

وقوله ﷺ: «تنكح المرأة لأربع: لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها ، فاظفر بذات الدين تَرِبَتْ يداك»[2].

فإذن هناك عوامل متعددة في اختيار الزواج ، لا شكَّ أنَّ العاطفة عنصر ولكنها ليست كل شيء ، هـٰذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فإنَّ الفساد المستشري في المجتمع والفتن المستعرة والإغراءات الجنسية الكثيرة من شأنها أن توقع أغلب الناس في المعاصي ، فلا بدّ من مكافحة ذلك عن طريق الزواج المبكّر ضمن الضوابط الشرعية التي نصّ عليها رسول الله ﷺ في الاختيار.

وقوله ﷺ: «يا معشر الشباب ، من استطاع منكم الباءة فليتزوَّج» قول واضح ، فترى أن الصهاينة والصليبيّين يسعون لأجل تغيير هـٰذه المفاهيم وتأخير سنّ الزواج ، بحيث تدخل الفتيات في مراحل من العنوسة ، وبطبيعة الحال فإنّ الصبر يكون شديد الصعوبة عند ذلك فتقع في الهاوية ، ويقع الفتيان أيضاً نتيجة لذلك في الهاوية ، ويسعون إلى زرع هـٰذه الأفكار الشيطانية في أذهان الناس عن طريق أبواقهم من أنصاف المثقّفين ، وبالإضافة إلى تضييق الحياة الاقتصادية وتعسيرها على الشباب بحيث لا يستطيع أن «يفتح بيتاً» أو أن ينفق على أسرة أو أن يُنشئ مجتمعاً سليماً طاهراً ، فيضطرّ اضطراراً ـ استجابة لصوت غريزته مع ضعف الرادع الإيماني والإسلامي ، وكثرة الفتن والمفاسد ـ

---

(١) سنن الترمذي: ج٣ ـ برقم ١٠٨٤.

(٢) صحيح مسلم: ج٢ ـ برقم ١٤٦٦.

إلى الوقوع في الزنى ، وهـٰذا مبتغاهم المقدّس ، فعلى الآباء والأمّهات أن يُحافظوا على شرفهم ودينهم وشرف أبنائهم وبناتهم ، ويسعوا إلى تزويجهم ذكوراً وإناثاً مُقدِّمين كلَّ العَون ومُذلّلين جميع الصعوبات إذا أمكنهم ذلك ، مع إبعادهم عن جميع مواطن الفتنة والفساد؛ كي لا يقعوا فيما حرَّمه الله عزَّ وجلَّ ويكونوا وبالاً عليهم.

١٨ ـ يجدر عدم الإكثار من العتاب؛ لأنَّ العتاب المستمرّ يُفقد هـٰذه القيمة في نفس الأبناء ، وبالتالي يُصبح سلاحاً غير ذي جدوى حقيقية.

١٩ ـ يجدر بنا عدم منع الأطفال من اللعب واللهو ولا سيّما فيما بينهم؛ لأنَّ اللعب من شأنه أن يُنمّي شخصيَّاتهم ويُظهر من مواهبهم ويُساعدهم على النموّ والتفكير السليم والنشأة النفسية الطبيعية.

٢٠ ـ يجدر بنا عدم تخويف الأبناء؛ لأنَّ التخويف يؤدّي إلى نتائج سلبية تنعكس على حياتهم المستقبلية ، وربما أوقعتهم في أمراض نفسية مختلفة ومتعددة ، فترى أنَّ هناك أناساً يُخوِّفون أبناءهم بالعفاريت والجنّ والضباع وما إلى ذلك ، وكلّ هـٰذه الأساليب تُعتبر من الأساليب الضارَّة والمدمِّرة لنفسية الطفل.

٢١ ـ يجدر بالأمّهات إرضاع أبنائهنَّ ، فإن تعذَّر ذلك فلا بدَّ من التماس مُرضعات لهم ، ولا بدَّ أن تكون هـٰذه المُرضعَة تكتسب بالحلال ، وتحيا بأسرة طيِّبة طاهرة؛ لأنَّ اللبن الذي سيتغذَّى عليه هـٰذا الطفل سوف ينعجن في طينته وطبيعته ، فإذا انعجن في طبيعته الخبث والحرام كانت طبيعته خبيثة.

٢٢ ـ لا بدَّ من قيام الأمّهات على رعاية أبنائهنَّ بشكل مباشر ، وإذا وقعت الضرورة باستخدام الخادمات فلا بدَّ أن يكُنَّ على خُلُقٍ كريمٍ ، وعلى استقامة دينية واضحة؛ لأنَّ التربية في هـٰذه الحالة قد خرجت من أيدي الأمّهات ووقعت على كاهل الخادمات ، فكم من الخادمات اللواتي قُمنَ بتربية أبناء المسلمين وقاموا باصطحابهنَّ إلى الكنائس وخرج الأبناء فسقة فجرة مشركين! ويجب على الآباء والأمّهات تجنُّب الدعاء على أبنائهم؛ لأنَّ لله ساعات قبول فربما تُصادف هـٰذه الدعوة ساعة قبول فيقع الشرُّ بأبنائهم وبالتالي يحيق بهم أيضاً ،

ومصداق ذلك قوله ﷺ: «لا تَدْعوا على أنفسكم ولا تَدْعوا على أولادكم، ولا تَدْعوا على أموالكم؛ لا توافقوا من الله ساعة يُسأل فيها عطاء فيستجيب لكم»[1].

٢٣ ـ صلاح الآباء ينعكس ثمرات يانعة على مستقبل الأبناء، ومصداق ذلك قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾ [الكهف: ٨٢].

وفي نهاية المطاف يجب أن نحذر أبناءنا من المؤامرات الحقيقية الصليبيَّة والصهيونيّة التي تتربّصُ بهم، وقد مُوْرِس عليهم منها الشيء الكثير، وما مظاهر الفساد والانحطاط الأخلاقي والديني في الأمة الإسلامية جمعاء إلاَّ نتيجة لهـذه المؤامرات التي تُطبَّق في كثير من بقاع العالم الإسلامي على الأرض، وأخطر ما يُنادون به حالياً في مؤتمراتهم ـ ومنها مؤتمر السكان والتنميّة ـ التثقيف الجنسي للأبناء، ولا سيّما أثناء سنِّ طفولتهم، وتأمين الراحة الجنسية للأجيال الإسلامية، وبطبيعة الحال فهـذه دعوة عُهر ساطعة لا مجال للتشكيك فيها والريب في أهدافها، وقد قَرَنَ هؤلاء الصَّليبيُّون المساعدات للدول العربية الفقيرة والإسلامية بتطبيق هـٰذا المنهج، فالدولة التي تسعى إلى الحصول على مساعدات من الغرب لا بدَّ أن تُثقَّف أطفالها على مقاعد الدراسة الثقافة الجنسية، وهم اليوم يحصدون الآثار المدمّرة الناتجة عن ذلك، حيث غدت العُذريّة في مجتمعاتهم الأوربية والأمريكية عملة نادرة يسعون إلى ترويجها في مجتمعاتنا الإسلامية، ومصداق ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [البقرة: ١٢٠].

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: ١١ ـ ١٢].

---

(١) صحيح مسلم: ج٤ ـ برقم ٣٠٠٩.

من هنا يتجلَّى دور التربية في حياة الأمة الإسلامية ، ويتجلَّى دور المرأة خاصّة في هـٰذا الميدان؛ لما تقدَّم من التصاقها بالأطفال ، وشدّة تأثيرها بهم وعمق النتائج المتولِّدة عن ذلك .

* * *